السيد حسين رضا

ولد شقيقنا فقيد الاصلاح والفضيلة السيد حسين لبضع ليال خلت من شهر ربيع الاول سنة ١٢٩٩ (الموافق شهر يناير سنة ١٨٨٢) وقد اغتبط والده بولادته مالم يغتبط بولادة غيره من ولده ، وكان يقول انه ولد ليلة المولد النبوي وانا أرى انه ولد قبلها بليلة فان ليلة المولد هي ليلة تسع على التحقيق . وكان يحبه حباً شديداً حتى كان يظهر حبه له في حضرته خلافا لعادته مع أولاده ، ويلهج المرة بعد المرة بقوله « هذا الحسين بن علي » فكأن هذا كان منه اشارة الى الفجيعة به في المحرم

تعلم مبادي القراءة والكتابة في القلمون ولاحت عليه من نشأته الاولى مخايل الذكاء والنجابة والعقل ، واعتصم منذ طفوليته بحبوة الحياء والادب، وانني لاأتذكر ان أحداً أهانه بقول أو فعل ، وكنت أنا الذي حملت الوالد رحمه الله تعالى على وضعه في مدرسة الحكومة الابتدائية في طرابلس (وكنت يومئذ اطلب العلوم الدينية والعربية في تلك المدينة) وكان يضن به على المدن خوفا على اخلاقه، ويحب أن يطلب العلم في غير المدارس الرسمية ، وكنت أتعاهده بكل مايحتاج اليه ، فتلقى فيها شيئاً من مبادي التركية والفرنسية والحساب والصرف والنحو بالتركية !! وعلم الحال (العقائد والعبادات) ولكن حالة المدرسة الادبية لم تكن تلائم فطرته فتركها باختياره ولم يتم مدتها .

ثم أقرأته النحو والصرف والتوحيد والاخلاق وشيئاً من الفقه ورغبته في الادب . فقرأت له مع آخرين كتاب الاظهار وطائفة من كتاب ابن عقيل في النحو (وحفظ الالفية كلها أو بعضها) ، وكتاب المقصود في الصرف ، وكتاب تهذيب الاخلاق لابن مسكويه الرازي ، وحضر عليّ بعض دروس الاحياء والعقائد وفقه الشافعية

ثم هاجرت الى مصر وأنا ضنين به أن يبقى في وطنه، وقد اشتد الضغط فيه على العلم وأهله وكتبه ، فكنت أطلبه من الوالد (رحمهما الله تعالى) فيرجئ ويسوف في ارساله ، حتى سمح به في أوائل سنة ١٣٢١ فوضعته في الازهر فكان يحضر درس تفسير والبلاغة على الاستاذ الامام ودرس فقه الحنفية على الشيخ احمد أبي خطوه ودروساً أخرى كان ينتقل فيها من حلقة الى حلقة ينتقدها ، الى حلقة يرجو أن يجد طلبته

فيها ، ويقرأ المنار ويحاول اتباع اسلوبه في الكتابة، ولم يلبث أن ترك الازهر بعد وفاة الشيخين محمد عبده وأبي خطوه ، وما أراه أتم حضور كتاب على أحد فيه لانه لم يستطع الصبر على أسلوبهم — فهذا مجمل القول في دراسته . وكل من عرفه من أهل العلم كان يرى ان معارفه أكبر من سنه . هكذا قال الاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان والدكتور شميل والدكتور يعقوب صروف وغيرهم

كان رحمه الله تعالى كاتباً أديبا وشاعرا وسطا وخطيبا مفوها ، وكان يعرض علي في بدء الامر بعض ما يكتبه وما ينظمه فلا أجد فيه الا القليل من الخطأ الذي يقع في مثله أشهر الكتاب والاساتذة ، وما عتم أن استقل بنفسه ، وصار ينشر المقالات الادبية والسياسية والاجتماعية في الجرائد والمجلات الكبرى ، فتارة يمضيه باسمه الصريح ، وتارة بلقب مستعار ، وقد كنت أنكر عليه أولا استعجاله بالاستقلال التام وأنا أعلم ان سببه الذي ساعد استعداده الفطري عليه هو الاقتداء بشقيقه وأستاذه الاول ، وأرى أنه فاته بهذا الاستقلال قبل أوانه ما كنت أحبه له من التوسع في العلوم الشرعية استعداداً لتحرير المنار ، وأن يكون ذلك برغبته واختياره ، فلم أستطع أن أحدث له هذه الرغبة ، وحثثته على اتقان اللغة الفرنسية فاشتغل بها زمناً ولكنه لم يتقنها كما يجب ولم يطالها البتة ، لانه كان يجري على سجيته ولا يطيق التكلف . وما كنت يائساً من عودته الى اتقان ما كنت أحب أن يتقنه وأنا أعلم ان رغبته اذا تحركت فانها تكون كالكهرباء مضاء وسرعة ، وجملة القول في علمه انه علم الاديب ، من كل فن حظ ونصيب ، وكان دقيق النقد ، حاضر الحجة ، قوي الذاكرة ، شديداً على الخصم مع النزاهة والادب . وله آثار وحكم وخواطر حسنة مدونة في مذكراته ، سننشر بعضها في المنار احياء لذكره ، وشرحا لمكنونات صدره وخبايا فكره

أما أخلاقه وسجاياه فهي التي كانت أكبر واضح الرجاء فيه ، وأظهرها وأعلاها استقلال الفكر وقوة الارادة والاباء وعلو الهمة وعزة النفس والصدق والامانة والعفة والنجدة والمروءة والشجاعة والاقدام والروية والوفاء والاخلاص ، وكنت أخشى أن يغلب ميله الى الشجاعة والرجولية ميله الى العلم والادب . أرأيت إذا اشرب صاحب هذه الاخلاق حب المصلحة العامة ، ووجه وجهه الى خدمة الامة ، مع حسن البيان بالقلم واللسان ، ألا يرجى أن يكون من المصلحين المجددين ؟ بلى وان فقيدنا الشاب قد كان مرجواً لهذا وأهلاً له ، لو قدر الله له عمراً طويلا

اني وان كنت أشهد لاخي وتلميذي فشهادتي حق ، وما تعودت بفضل الله الا قول الصدق ، ولا فائدة لي ولا له في اطرائه واعطائه ما ليس له بحق ، ويشهد له بذلك جميع من عرفه من أهل العلم والفضل الذين يقدرون الفضيلة حق قدرها أو جملتهم وبجموعهم ، كما تشهدله به آثاره التي هي مرآة نفسه ، لانه لم يكن يكتب الا ما يمليه عليه اعتقاده وشعوره ، وانني أنقل ههنا بعض ما كتبه الى فضلاء المعزين

وإنما اختار من التعازي الكثيرة التي كتبت الي مافيه تصريح او إشارة الى رأي الكاتب لما في فضل الفقيد وأخلاقه والرجاء في خدمته لأمته . والتعازي ضروب بعضها وعظ عام ، وبعضها ثناء على المعزى ، واكثرها إكبار للمصيبة بالكلام المجمل والوصف الشعري

(١)

كان أجدر الناس بأن يحفظ كلامه وينشر في هذا المقام صديقنا الاكبر الاستاذ العالم الصوفي الشيخ محمد كامل الرافعي أفضل الفضلاء في طرابلس الشام ، ولكن ما كتبه في هذا المصاب شجون فيها ذكر ما وقع ووصف حاله هوفيها وما يعتقده في صديقه كاتب هذه السطور ، فلا يتعلق شيء كثير منها بغرضنا ، ويصح ان يكون منه بعض عباراته في اكباره المصاب على ما هو عليه من وقار المشيب ، وما اعتاده من مصارعة الخطوب ، كقوله حفظه الله تعالى

« فلم يفجأني الا خبر نعيه الذي اصم السمع ، وصدع القلب ، وكان له من التأثير على وجودي كله ما تمنيت معه أني لم أخلق ، واسرعت الى القلمون آسفا جازعا ، فرأيت القيامة قائمة ، وشهدت من هول المصاب ما يذيب القلوب ويفطر المرائر ، ويذهب بالنفوس حسرات ، واجتهدت بحسب ضعفي اذ ذاك لتخفيف الهول على غير جدوى . وبالحقيقة ان مصابنا بالحسين عظيم ، والخطب فيه جسيم ، وإنما يقوى عليه بقوة من الله . »

ومن كتاب له الى ابن اخته جميل افندي الرافعي :

« ما فجعت بعد اخي احمد عارف رحمه الله(١) بمثل انفجاعنا لوفاة السيد حسين رضا ، ولا أمضني خطب كخطبه ، ولا أسفت لأحد كما اسفت لفقده ، ولو شئت لعددت مواهبه بلسان الندب ولكن قلبي من الحزن لا يطيق . ولقد صعب علي تعزية

(١) هو أكبر أخوته وأنفعهم وقد مات له غيره

(السيد) (١) به حتى لا أكاد اعقل ما كتبت . ولو اني حملت جبال رضوى لـكان أهون علي ممن حملت من الكتابة اليه ، على انه لا بد منه ، والامر لله ، وانا لله وانا اليه راجعون »

(٢)

ما كتبه الى لسان الصدق والحكمة السيد عبد الحميد افندي الزهراوي من الاستانة :

كتابي اليوم كتاب أسى وحزن، ولولا أن الجزع قبيح بعباد الله المؤمنين لـكان قلبي اليوم جديراً أن يتسع للجزع وحده ويضيق عما سواه ولا أجد غضاضة علي في ذلك لولا الايمان، لان فقيدنا ليس من هذه الاعراض الفانية المتبدلة، كلا بل هو جوهر من أكرم الجواهر التي حظينا من الزمان باكتساب صحبتها ، والتعزي في هذه الحياة برؤية صفاتها، هو من أعظم الهدايا الالهية التي آنستنا في المعامع الموحشة ، معامع قيل وقال ، وكثرة الجدال ، هو من أفضل الاعيان التي تصبح زينة التاريخ برونق محامدها ، هو « السيد حسين رضا » وبالهف قلبي حين يرى هذا الاسم محشوراً في صفوف الغابرين ، بعد أن عرفناه جمال محافل المعاصرين

اذا كان فقد الفضلاء ليس ببدع في عالم الـكون والتحول فالجزع لفقدهم ليس ببدع أيضاً ، واذا كان ذوي الغصون النضرة أمراً معهوداً فذرف الدموع لاجلهم أمر معهود كذلك ، للكننا نجل سنة الله تعالى في أنفسنا ونتكلف تقديم الانس بروحه على الانس بأشباحنا ، فنتزحزح بذلك عن الجزع القلبي مستغفريه سبحانه عن الدموع التي لانملك سدا لتيارها، ولاحول ولا قوة الا به ، هو ولي الفطرة ومازج الضعف بالقوة

اذا أسي الآل الرضوي على الحسين فلا غرو، كيف والآسون عليه من سواهم يعدون العد، ويتعاصون على الحد، فحافل الآداب ، ومعاهد العلوم، وبيوت الحسب، ومآهل الشيبة ، ومناهل الفضائل ، كل ذلك بعض من أسي على هذا الغصن النضير الذي أنحيته دوحتهم، وأوحشت منه اليوم رياضهم، وإن يلتمس الآل الرضوي عزاء فليس لغيرهم مثل مايجدونه من العزاء بوجود مولاي الاخ الذي هو اليوم عزاء عالم الاصلاح كله

كتبت هذا وما أملي بأن أكون معزيا في الحسين أكثر من أن أكون معزى فيه، وذلك أن أخي الرشيد أغنى بقوة معرفته بالله سبحانه وأنسه بروح هديه وتجلياته

(١) اذا أطلقوا لفظ السيد يعنون به صاحب هذه المجلة

عن تعزية اخوانه ، أما أنا فلا أستثني ولا أجدني سالياً ذاك الشاب الذي لا فضل لي في عشق لطفه، فان كل من عرفوه محكوم عليهم بالتقيد والتعلق بمناقبه ، فالله سبحانه مسئول ان يثبتنا في هذا المصاب، ويكفي الآل الرضوي سائر الاوصاب، وانا لله وانا اليه راجعون

اخوكم

عبد الحميد الزهراوي

وكتب في جريدته الحضارة التي تصدر في الآستانة

(السيد حسين وصفي رضا)

شاب نشأ في مهد المجد، ورضع أفاويق المعالي ، وتضلع من الآداب والحكم، وبلغ في المروءة والشهامة الغاية ، أتانا نعيه فوقع لدينا وقعاً مؤلماً ، وكان أسفنا عليه عظيما ، فقد كان فوق كل ماتقدم من صفاته صديقاً من أعز اصدقائنا ، وأخا من أكرم إخواتنا ، فنعزي فيه الفضائل والمعالي وأخانا العلامة المصلح شقيقه السيد محمد رشيد رضا صاحب «المنار» أجزل الله أجره، وأطال عمره، انا لله وانا اليه راجعون، منه سبحانه نستنزل الرضوان على جدث الفقيد العزيز، والصبر والسلوان على أفئدة أهله وعارفيه

(٣)

ما كتبه أكتب علماء طرابلس الشام وأعلم كتابها الشيخ اسماعيل افندي الحافظ المدرس في دار الفنون العثماني ومكتب النواب بالاستانة

سيدي الاخ الرشيد عزى الله نفسه بما يرجوه من صلاح الاسلام وانزال السكينة على قلبه . أكتب هذه الكلمات بيد ترتجف أسفاً ، وانفاس تتقطع لهفاً ، وبين قلبي ذاب يكاد يقطر دما ، وينفطر تأثراً وألما ، وعلى عارضي دمع ينهل مدرارا ، ويتسابق انحدارا ، ثم لايلبث أن ينقلب ناراً ، تذكي في أوارا ، دمع كأني احس بسويداء قلبي تسيل في وليه ، وسواد عيني يمتزج بأتيه ، حتى لو استعملته مدادا ، لرقم على هذا الطرس سوادا ، وذلك شأني منذ قرأت في جرائد طرابلس نعي ذلك الشباب الغض والحسب المحض ، والادب الموفي على الروض جمالا ، والخلق المزري بنفحات الزهر اريجا ، والذكاء الذي يكشف اعقاب الخطوب ، ويكاد يشق حجب الغيوب ، ويستجلي خواطر القلوب ، فياله من خطب رزئت به الفضيلة بجمالها ، والمكارم بكمالها ، والمروءة ببهجتها ، والنجدة ببهجتها ، وياحسرة الاقلام والمحابر ، والكتب والدفاتر ، وياما أطول أسفي على ذلك الفقيد ، وما أشد أشفاقي على قلب (السيد) كيف يحتمل

المصاب به والصبر على نضرة شبابه ، وهو أكثر أشقائه جرياً معه في سبيل الاصلاح ، وأقدرهم على مساعدته وتأييده ، ولكن علمي بمبلغ صبر السيد واحتماله ، وثقتي بتمكنه في موقف الجهاد النفسي ، واستهانته بصروف الايام وزهده في متاع هذه الدنيا الفانية ، قد يهون بعض آلامي ، وينهنه من غلواء جزعي واشفاقي ، وهو ماهيأ لي سبيلا الى التقدم اليه بهذه التعزية الحزينة ،

وأما أنت أيها الاخ الصالح (١) فاني أعلم رقة شعورك ، وشدة تعلقك بالفقيد ، وضعفك عن احتمال المصيبة به ، ولذلك كففت عن تقديم تعزية خاصة بك ، جزعا من ذكر هذه الفاجعة ، واشفاقا وكآبة وحزنا ، عزى الله قلبكما بفضله والهمكما الصبر الجميل ، وجزاكما الاجر الجزيل ، على انني لست اغنى منكما عن التعزية بهذا المصاب . وهبنا الله جميعاً جميل العزاء والسلوان ، وعوض الفقيد على شبابه بالروح والريحان ، وأعلى غرف الجنان ، وهو على فراقه المستعان الداعي

اسماعيل الحافظ

(٤)

وكتب الاستاذ الاكبر ، بقية السلف الصالح ، الشيخ عبد الرزاق البيطار الدمشقي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله القائل « وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون » والصلاة والسلام على فقيد الأوائل والأواخر ، وعلى آله وصحبه الى اليوم الآخر

اما بعد فيا ايها الأخ العزيز الذي نحن شركاؤه في حزنه وبكائه ، ونظراؤه في كدره واسفه وبلائه ، ان المصائب تتفاوت في المقدار ، والحوادث تختلف باختلاف الاقدار ، وعلى قدر المشقة يكون الثواب ، ويضاعف الأجر بحسب المصاب ، وانت وان كنت اعلم منا بثواب الصبر ، وما اعد الله للصابرين من الثواب والأجر ، ولكن لا بأس بالمذاكرة والتذكير ، والقيام بأوامر السنة بلا فرق بين جليل وحقير ، فيامولاي الجليل ، هل — للخلق من خلاص ونجاه ، مما حكم به الحاكم المطلق وقضاه ، واني وايم الله حينما علمت بهذا الخطب دارت بي الارض دهشة وحيرة ، واظلمت الدنيا في عيني اسفا وحسرة ، وكتبت معزياً والقلم هائم ، والدمع هام والكرب داهم ، فيالها من

(١) يريد خطاب شقيقنا السيد صالح

مصيبة ما اعظمها، وداهية ما افظعها واجسمها، وعلى كل حال ليس لنا سوى التسليم لولي الأمر، ولزوم الصبر، على ما هو امر من الصبر، وقد قال من له الأمر والشان، «كل من عليها فان» فالله يبقي لنا وجودكم جميعاً وينيلكم كل مراد ومرام، ويختم لنا ولكم بجميل الانعام وحسن الختام حرر في ١٩ محرم سنة ١٣٣٠ عبد الرزاق البيطار

(٥)

وكتب العالم الكبير، رب التصنيف والتحرير، الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي:

حضرة مولانا اوحد الاعلام أطال الله في بقائه وبارك لنا في حياته، وافانا اليوم نبأ اذرف الدموع، واطار الهجوع، وخطب اورث الشجن، واطال الحزن، وانزل بنا اعظم مصاب، وارانا ما لم يكن بحساب

ادهشني والله ما فجعني، حتى حرت كيف أعزي وانا حقيق بان أعزى، ام كيف الوم الصابر وانا الجدير بما يتلى، ولقد ابى القدر المحتم الا ان يمثل في المحرم فاجعة الحسين، وان يجعل لنا — وان لم تتشيع — من الشجو ضعفين، فانا لله وانا اليه راجعون، نسأله تعالى ان يفرغ علينا الصبر، ويوفي لنا بعظم مصابنا الاجر، ويهب نسيد الاكبر من العمر أطوله، ومن العيش اكمله، والسلام الاسيف

في ١٥ محرم سنة ١٣٣٠ جمال الدين القاسمي

(٦)

وكتب صاحب الفضيلة، والمزايا الجليلة، الشيخ مصطفى افندي نجا مفتي بيروت:

سلام الله على حضرة الاستاذ الجليل أعظم الله أجره وأحسن عزاءه بمنه تعالى وكرمه. وبعد فان نبأ الفاجعة الاليمة والمصاب العظيم، بصديقنا الاخ الكريم، قد جرح الفؤاد وأورثنا الاسف الشديد، وساء كل من عرف فضل هذا الفقيد الاديب، والكاتب النجيب، عامل الله من اعتدى عليه بما يستحقه. وعلى كل فالموت على العباد أمر محتم، والتسليم لله تعالى أولى وأسلم، والاستاذ حفظه الله جدير بأن يتدرع لهذا الخطب الكبير بصبر أكبر منه، فانا لله تسليما لامره تعالى، ولا حول ولا قوة الا بالله. اللهم افض على هذا الشهيد سجال رحمتك، واسكنه بفضلك في عالي جنتك، وسهل لاسرته الكريمة سبيل الصبر، وتحصيل الاجر، انك سميع الدعاء الفقير مفتي بيروت

(الختم)

(٧)

وكتب صفوة أدباء بيروت أصحاب التوقيعات كتابا مشتركا قالوا فيه :

الاستاذ العلامة مولانا السيد محمد رشيد رضا أطال الله بقاءه

السلام على الاستاذ ورحمة الله وبركاته . وبعد فانا نكتب واليد مرتجفة والقلب يخفق والعين تدمع للرزء الجليل الذي أصيب به الادب والفضل والخلق الكريم والغيرة الصادقة . فكان هذا المصاب عاماً لكل من عرف الفقيد رحمه الله ولم تخصص بذلك اسرته الكريمة . فنتقدم بتعزية الامة عموما ولفضيلتكم خصوصا . الهمنا الله جميعاً الصبر واعظم لنا ولكم الاجر

محمد على القصاص عبد الرحمن سلام مصطفى الغلاييني

(٨)

وكتب صاحبا الامضاء من سروات بيروت وكبار وجهائها

الى السيد الحكيم أدام الله بقاءه

مصابنا بالحسين عظيم ، ووقعه في قلوبنا أليم ، وما لهذا الخطب العميم ، الا جميل الصبر مما يعد من فضائل السيد الحكيم ، الصادع بأمر ربه ، الراضي بحكمه وقضائه ، فمنكم والبكم سنة التعزية ، عظم الله أجركم ورحم الفقيد العزيز وعوضنا ببقاء السيد خيرا والسلام ١٦ محرم سنة ١٣٣٠ الداعي الداعي

يوسف سنو حسن بيهم

(٩)

وكتب الكاتب الخطيب الشهير الشيخ احمد طباره صاحب جريدة الاتحاد العثماني في بيروت

﴿ إنا لله وإنا اليه راجعون ﴾

مولانا العلامة الاستاذ الرشيد

تناولت القلم لا كتب للاستاذ تعزية بالشهيد الحسين ، فتراءى لي هول المصاب وتمثل أمامي نضل الفقيد ، وأدبه الغض ، وخلقه الكريم ، فلم أدر ماذا أقول سوى أني أدعو الى بالله تعالى بأن يفرغ على قلب الاستاذ الصبر الجميل ، والاجر الجزيل وأن يتغمد فقيدنا بوابل رحمته ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والسلام

١٩ محرم الحرام سنة ١٣٣٠ احمد حسن طباره

(١٠)

وكتب الاديب الفاضل، سليل بيت العلم والفضائل، في بيروت (وهو الآن بمصر)

حضرة السيد الفاضل النبيل حفظه الله

اعرض ان المصاب باخ الطرفين شقيق حضرتكم لقد اصاب وايم الله كبدي الفضل والنبل واضاع الوطن بفقده شهما غيورا وعاملا بل املا كبيرا نشأ في حجري العلم والحكمة وشب متشبعا بالافكار السامية والمبادئ الراقية الخ الخ

المخلص

محمد مصباح الحوت

(١١)

وجاءنا من جمعية الاخاء الاسلامي ببيروت هذا الكتاب، فنشرناه بعد حذف رسوم الخطاب، فان لم يكن على شرطنا في موضوعه فللجمعية معنى يتصل به من وجه آخر، وليكن ختام ماننشره من تعازي بيروت التي هي في مجموعها، عرف البلاد السورية بقيمة رجالها:

نبدي ان نبأ الفاجعة الاليمة بوفاة الشقيق قد ملأ القلوب اسفا وحزنا، واسال من العيون مزنا، فقضى رحمه الله رحمة الابرار، واسكنه دار الكرامة مع الاخيار، مضى في سبيل لا بد لكل حي من المسير فيه والمصير اليه بحكم مقدر الاعمار لأجلها، والآجال لميعادها، فلا ينفع الفائت الحزن، ولا يرفع الهم غير الاعتصام بالصبر، وكل ذلك لايخفى على فضيلتكم، ومعالي ارشادكم احسن الله لكم العزاء، ولقاكم من الصبر اكمله، ومنحكم من الاجر اجزله، ولا اراكم بعده ما تكرهون، وإنا لله وانا اليه راجعون　　عن عموم اعضاء

٢٠ محرم الحرام سنة ١٣٣٠　　جمعية الاخاء الاسلامي في بيروت

رئيسها : محمود فرشوخ

(سنذكر في الجزء الآتي نموذجا من تعازي سائر البلاد والاقطار)